المدرسة العربية التقليدية والحديثة بفُمْبِنَ: بين التكامل والصراع

L'école arabe traditionnelle et moderne au FOMBINA : entre la complémentarité et le conflit

Moumini Ibrahim
Senior lecturer
Department of Arabic Language and Civilization
Faculty of Arts and Social Sciences
University of Ngaoundere
dayybald@gmail.com
(+237)696649944/677673731

Résumé: Depuis le début du VIIe siècle après J.-C., à une époque où le monde sombrait dans les profondeurs de l'injustice et des ténèbres, la lumière de l'Islam brillait dans la péninsule arabique. En quelques décennies seulement, cette religion connut une expansion vers l'est qui va jusqu'aux frontières de la Chine. À l'ouest, elle s'étendit jusqu'à l'île de Sibérie et l'océan Atlantique. Au sud, elle convergea jusqu'au pays de la Nubie. En effet, Les habitants du nouvel État islamique avaient besoin de comprendre cette nouvelle obédience religieuse. C'est raison pour laquelle, l'on y a assisté à la création et à l'émergence de manière polymorphique et hiérarchique des écoles doctrinales arabes. La présente réflexion intitulée*«L'école arabe traditionnelle et moderne à FOMBINA : entre la complémentarité etle conflit»* aborde la question de l'école arabe dans le périmètre de FOMBINA et particulièrement dans la région du Nord-Cameroun. Cette étude se focalisera sur la dynamique des écoles arabo-islamiques depuis le début du XXe siècle de notre ère jusqu'à nos jours. En fait, Il existerait deux types fondamentaux d'écoles arabes à FOMBINA. La question centrale est ainsi celle de savoir : quelle est la nature de relation entre les écoles : traditionnelle et moderne ? S'agit-il d'une relation de conflit ou de complémentarité ? A partir d'une perspective diachronique et d'une approche trilogique descriptive, historique et analytique, l'on mettra en relief la structuration de ces deux écoles, leurs organisation, leurs fonctionnement et leurs évolution.

Problématique : Il y a quelques années, une altercation verbale a éclaté entre deux groupes de ULEMAA au Cameroun ; Le premier était pour l'école arabe traditionnelle, et le second pour l'école arabe moderne. Chacun essaie de saper l'autre. Ces conflits suscitent une question : les deux écoles sont-elles pour objectifs complètement différents ? Autrement dit : la relation entre les deux écoles est-elle une relation de complémentarité ou de conflue ?
Mots clés : école, arabe, traditionalisme, modernité, Fombina.

ملخص: منذ مطلع القرن السابع الميلادي، في الوقت الذي كان العالم يتخبط في غمرات ظلام الظلم، سطع نور الإسلام في الجزيرة العربية، وما لبث، في عقود قلائل، أن امتد الإسلام منها إلى حدود الصين شرقا، وإلى إسبانيا والمحيط الأطلسي غربا، وإلى بلاد النوبة جنوبا. احتاج الناس في جميع أنحاء الدولة الجديدة إلى هذا الدين الجديد وإلى فهم القرآن، فاحتاجوا لذلك إلى لغة القرآن، فنشأت المدرسة العربية بشتى أصنافها ومستوياتها، وانتشرت في أنحاء الدولة. هذه الورقة، التي بعنوان: **"المدرسة العربية التقليدية والحديثة**

بِفُمْبِنَ: بينالتكامل والصراع"، تتناول بالدراسة المدرسةَ العربية في إقليم من أقاليم الدولة الإسمية في وسط إفريقيا، وهو إقليم **"فُمْبِنَ"** الذي تتوزع أطرافه نيجيريا وشمال الكاميرون، مع محاولة بيان هيكلة هذه المدرسةَ وخصائصها وطريقة تنظيمها وتحديد وظيفتها ابتداء من مطلع القرن العشرين الميلادي إلى يومنا هذا، محاولةً بيان التحديات التي تواجه هذه المدرسةَ، وما أدت إليه هذه التحديات من نشوء مدرسة عربية أخرى جديدة إزاءها. ثم بيان "طبيعة" العلاقة بين المدرستين: القديمة (التقليدية) والجديدة (الحديثة). ومن منظور ثنائي التاريخ، ومنهج ثلاثي: وصفي وتاريخي وتحليلي.**مشكلة البحث**: قبل سنوات، اندلعت مشادات كلامية بين بعض العلماء في الكاميرون؛ فالأولى تدافع عن المدرسة العربية التقليدية، والثانية عن المدرسة العربية الحديثة. فكلٌّ يحاول النيل من الآخر، وهذا ما أثار تساؤلا أساسيا لدى الباحث، وهو: ما الفرق بين المدرستين؟ وهل تسعى الأولى لأهداف مغايرة تماما للأخرى؟ بمعنى: هل العلاقة بين المدرسة العربية التقليدية، وبين المدرسة العربية الحديثة علاقة صراعية؟

كلمات مفتاحية: المدرسة، العربية، التقليدية، الحديثة، فُمْبِنَ.

المحور الأول: تحرير المصطلحات:

أولا: مصطلح فُمْبِنَ:فُمْبِنَجغرافيا، هي منطقة تاريخية إدارية تقع في غرب إفريقيا حيث كانت جزءًا من إمبراطورية عثمان دان فوديو الإسلامية التي تأسست في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[1]. تشتمل هذه الإمبراطورية بشكل رئيسي على أجزاء من الشمال الشرقي من الجمهورية الفيدرالية نيجيريا، وشمال الكاميرون[2]، وأجزاء من الجنوب الغربي لجمهورية تشاد، وغربي جمهورية إفريقيا الوسطى[3].

كان لمملكة " فُمْبِنَ "، الذي بمعنى"الجنوب" باللغة العربية، أهمية كبيرة استراتيجيا، حيث لعبت فُلْفُلْدِي وثقافتها فيه دورًا محوريًا في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية. تميزت إمبراطورية عثمان دان فوديو بإصلاحات اجتماعية وفقًا للمبادئ الإسلامية، وبتشجيع كبير لنشر اللغة العربية وتعاليم الإسلام.

ظل مملكة فُمْبِنَطوال فترة حكم عثمان دان فوديو جزءً من إمبراطورية سُكُتو، وكان عثمان دان فوديو هو قائدها الأعلى الروحي والسياسي، ولكنه في الوقت نفسه أوكل مسؤوليات الحكم، في مناطق مختلفة من الإمبراطورية، إلى أبنائه وحلفائه. وقبيل وفاة الشيخ سنة 1817، سلم زمام أمور الجزء الشرقي للإمبراطورية لابنه **محمد بِلُّو، والجزء** الغربي سلم زمام إدارته لأخيه عبد الله، وأما الجزء الجنوبي فكان تحت أمرة مودب آدم، ونتيجة لموقع هذا الجزء الجنوبي أطلق عليه فُمْبِنَ ترجمة لكلمة الجنوب بِفُلْفُلْدِي، فمصطلح " فُمْبِنَ" يشير إلى منطقة إدارية تقع جنوب إمبراطورية سُكُّتُو.[4]

1- باري، عثمان برايما، 2000، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط:1: 113؛

2- إلهام محمد علي ذهني، 1988، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار (1850 1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، (د.ط):43؛

3-- باري، عثمان برايما، جذورالحضارةالإسلاميةفيالغربالإفريقي، المصدر السابق: 114.

4- فيج جي دي، 1982، تاريخ غرب إفريقيا، تجم، السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة.ط: 1: 292؛

ثانيا: الهيكل الاجتماعي في فُمْبِنَ: إن التركيبة الاجتماعية لمملكة فُمْبِنَ متنوعة ومعقدة إلى حد كبير، حيث تشتمل على عدة مجموعات عرقية وثقافية. وتعتبرمجموعة فُلْبِيمن أوسع المجموعات نطاقا وأكثرها أهمية في المنطقة، حيث أدت دورًا محوريًا في تأسيس إمبراطورية سُكُّتُو ونشر الإسلام، **ويتكون الهيكل الاجتماعي من مجموعات عرقية مختلفة، أهمها:**

1. **فُلْبِي: وهم مجموعة من القبائل الرعوية الرحل،** وكان منهم الطبقة الحاكمة. وقد استقر العديد منهم في المدن بعد الجهاد الذي قاده عثمان دان فوديو وتلاميذه وحلفاؤه، وأصبحوا قادة دينيين وإداريين.
2. **الهوسا:**وهم مجموعة عرقية كبيرة في المنطقة، وهي معروفة بتجارتها وحرفها اليدوية.اعتنقوا الإسلام قبل الجهاد، وكان لهم دور مهم في الحياة الاقتصادية والثقافية.
3. **الكانوري:**هم قبائل سكنت المناطق الشرقية من الإمبراطورية، وكان لهم تأثير ثقافي وديني كبير.
4. **التوبا:**هم مجموعة عرقية، كانت تسكن المناطق الجنوبية من فُمْبِنَ. وكانت تهتم بالزراعة وصيد الأسماك.

ثالثا: الطبقات الاجتماعية في فُمْبِنَ

كان المجتمع في فُمْبِنَ هرمياً، حيث كانت الطبقة الحاكمة تتألف من نخبة فُلْبِي، المتكونة من السلاطين والأمراء والعلماء. وتلتها طبقة التجار والحرفيين، وغالبيتها من الهوسا. ثم طبقة المزارعين من المجموعات العرقية الأخرى.كما كان نظام العبودية معترفا به، بحيث يتم استخدام العبيد في الأعمال الشاقة كالزراعة والخدمات المنزلية.

لقد أدى الإسلام دورًا مركزيًا في تشكيل حياة سكان فُمْبِنَ، وكان الدين هو الرابط الأساسي بين المجموعات المختلفة من مجتمع فُمْبِنَ في ظل ثقافة مشتركو، وهي الثقافة الإسلامية. وكانت النتيجة أن أصبح عدد من المدن والقرى في مملكة أدماوا مراكز علمية ودينية، وصار عدد من المساجد مدارس تعرف بين الناس بـ"المخاظر" حينا وهُبِّرْدي (دهليز) حينا آخر، وهي تتولى تعليم القرآن والعلوم الإسلامية واللغة العربية.

رابعا: شمال الكاميرون:

الكاميرون، دولة إفريقية تقع في وسط أفريقية (Afrique centrale)، وتحدّها من الغرب دولة نيجيريا، ومن الشمال الشرقي التشاد، ومن الشرق جمهورية أفريقيا الوسطى، ومن الجنوب غينيا الاستوائية، والغابون، وجمهورية الكونغو.

تتميز الكاميرون بالتنوع الجيولوجي والعرقي الاجتماعي والثقافي، ما جعلها تحمل من مزايا قارة إفريقيا شيئا كثيرا. وتَعُد الكاميرون أكثر من 250 مجموعة عرقية ولغوية مختلفة. ومن أكبر مدنها ياوندي العاصمة السياسية، ودوالا العاصمة الاقتصادية، هذا من جنوب البلاد، وغاروا وماروا ونغاوندري من شمالها.

المحور الثاني: المدرسة العربية التقليدية

أولا: مفهوم المدرسة العربية التقليدية

يقصد بالمدرسة العربية التقليدية، في هذه الورقة بالتحديد، مجموعة من الحلقات العلمية. وهي المرحلة التي تلي "الكتاتيب" التي تعنى بتعليم الصبيان المبتدئين من البنين والبنات من أولاد حي ما أو قرية. و"المدرسة العربية التقليدية" بهذا المفهوم تمثل المرحلة المتقدمة التي تُعنى بتكوين البالغين في اللغة العربية والعلوم الشرعية لمن يريد التعمق في العلم والمعرفة.

أدت المدرسة العربية التقليدية في فُمْبِنَ دورا بارزا في نشر العلوم الشرعية واللغة العربية وثقافتها في أنحاء المنطقة بصفة عامة، وفي منطقة فُمْبِنَ على وجه الخصوص. وقد خرجت عددا كبيرا من جهابذة العلماء تبحروا في كل الفنون المتاحة في ذلك الوقت. وخلفوا للأجيال تراثا علميا ضخما يستحق الدراسة. وخير دليل على ما أقول، هو الإمام عبد الله بن فودي[1] الذي خلف لوحده مؤلفات، نثرا ونظما، تفوق أن يُتصوَّر بأنهذا كله، نوعا وكما، في إفريقيا جنوب الصحراء.

وقد ألف الشيخ عبد الله رحمه الله في مجالات مختلفة؛ في علوم الشرعة: من تفسير وعلومه، وفقه وأصوله، وحديث وعلومه، وسيرة وتاريخ، وعقيدة وتصوف، والسياسة الإسلامية. وفي علوم اللغة العربية: من نحو وصرف وبلاغة وعروض... وتفوق مؤلفاته الأربعين.

ثانيا:المراكز العلمية والثقافية في الجزء النيجيري من فُمْبِنَ

نعني بها المراكز العلمية، وهي مدن أو قرى تتميز بنشاط علمي وثقافي ظاهر بحيث يشيع صيتها وتتردد صداها في أنحاء البلاد ما يجعل الطامعين في العلم يفدون إليها أعدادا وأفواجا من كل فج عميق، بقدر ذيوع شهرتها في الآفاق. وهذه المراكز تتوزع بين جنوب شرق نيجيريا وشمال الكاميرون. وتجنبا من الإطناب نختصر بذكر مركزين نموذجا في كل من نيجيريا والكاميرون. وفيما يلي أهم المراكز تقع في نيجيريا:

1. **مركز مدينة يولا:**

فكلمة "يولا"، فولانية الأصل. وتعني بصيغتها الصرفية "الهضبة"، في صيغة "التكبير"، فمن خصائص صرفيةلِفُلْفُلْدِي وجود صيغة التكبير والتصغير. وقد أسسها الشيخ العالم الجليل مودِبُّ آدم[2]. وفي عام 1806، تسلم العلم الأخضر من الشيخ عثمان

1- هو الشيخ الجليل الجِهْبِذ، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن فودي. ولد في قرية ديقيل بمملكة غوبر-شمال نيجيريا حوالي 1180ه، الموافق 1766م. انظر: آدم عبد الله الإلوري، 1978، الإسلام في نيجيريا، (د.د)، (د.م)، ط3: 64، وشيخ عثمان كبر، 2004،الشعر الصوفي في نيجيريا، النهار، القاهرة،ط1: 196.

2- ولد مودب آدم عام 1779 في وورو تشيككي في منطقة بينو العليا. ابن أرطو حسنة من عشيرة يلاقا. أُرسل إلى باغيرمي وبورنو لإكمال دراسته في القرآن الكريم لمدة عشر سنوات تقريباً. عند عودته استقر في قوريقا في وادي "فارو" صديقًا لأرطو هممان من عشيرة "با إن"، وقد قاد معه نشاطا دينيا مكثفا في المنطقة. مما جعله يستحق تعيين رؤساء عشائر فُلْبِي (قماوا دي راي، ونجوبدي دي بوندانغ، وهممان داندي، وهممان سامبو)، حيث تم إيفاده إلى عثمان ابن فودي في سكتو لسؤال الأخير عما يجب عليهم (الأمراء) في هذا السياق الجديد. ولكن الشيخ عثمان أعطاه الراية الخضراءوالرسالة، كما منحه أيضًا سلطة منح معايير أدنى أخرى على زعماء عشيرة فُلْبِي في سياق استمرار الجهاد المقدس. ولما عاد إلى منطقته لقب بأمير راية الجهاد في فُمْبِنَ بموجب تلك الراية الجهادية المدعومة بالرسالة أصبح مودِبُّ آدما قائدا للجهاد وتحته جميع السلاطين فُلْبِي في إقليم فُمْبِنَ. وفيما يلي نص الرسالة:

ابن فودي في سُكُّتُو للانضمام إلى ثورته وهي عاصمة إدارية لمملكة أدماوا الإدارية في نيجيريا[1]. وتقع على نهر بينوي، ويبلغ عدد سكانها حوالي أربع مئة ألف نسمة. تنقسم يولا إلى قسمين: مدينة يولا القديمة وهي المدينة التقليدية، حيث يقيم أمير (لاميدو) أدماوا، ومدينة جيميتا الجديدة، وهي على بُعد حوالي خمسة كلم أو ثلاثة أميال بشمال غرب الأولي، وهي المركز الإداري. والتجاري للولاية[2].

الذي يهمنا في هذا السياق هو أهمية "يولا" العلمية والثقافية بالنسبة للغة العربية في تاريخ مملكة فُمْبِنَ. وقد اشتهرت مدينة "يولا" بمدارسها (حلقاتها) العربية العتيقة، التي خرجت عددا من العلماء الأجلاء لهم فضل كبير في خدمة الدين ونشر اللغة العربية وثقافتها في جميع أنحاء فُمْبِنَ. وكانت مكتظة بمدارسها العربية التقليدية وبعلمائها بمختلف تخصصاتهم؛

حلقات العلم في يولا: من أهم هذه الحلقات على سبيل المثال لا الحصر الحلقات التالية:

- حلقة مودبُّ حسيني رحمه الله[3]، المشتهر بـ:مَامَ لِمَنْ"؛ وكان إماما لمدينة يولا في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، وأما حلقته العلمية فقد غلب عليها الطابع اللغوي (النحو)[4].
- حلقة مودبُّ عمرُ نغاوندري في داماري، الذي خلف مودبُّ حسيني رحمه الله في إمامة يولا. وتتميز حلقته الطابع اللغوي (النحو والأدب)؛
- حلقة مودِبُّ عمرُ مبَامبَا رحمه الله. وتتميز بطابع العلوم الشرعية (الفقه الإسلامي)؛
- حلقة مودبُّآمادو طَنْ بُرَامْ رحمه الله، وتختص بطابع العلوم الشرعية (الفقه الإسلامي). قيل إنه كان يدرس مختصر الخليل وبعض شروحه على ظهر القلب؛
- حلقةمودِبُّ بخاري رحمه الله في حي مقاجي، وهي متخصصة في العلوم الشرعية (الفقه الإسلامي)؛
- حلقة مودِبُّإيا بيكا في حي مقاجي أيضا، واشتهرت باللغة والنحو؛

"يا مودبآدم، لقد جعلتك اليوم قائدًا من بين شعب قُلْبِي الذي تنتمي إليه، ليس لأنك متفوق عليهم، بل بسبب ثقتهم بك. [...] اعلم أنه لا حدود لك مع أحد في جميع الأراضي الجنوبية... أقسم عليك أن تُوطد سنة رسول الله وتُجري الجهاد في سبيل الله. متى انتصرت في الجهاد، أحسن معاملة العبيد الذين تأسرهم، وأسلمهم، ولا تُجبرهم على ذلك قدر استطاعتك، وأحسن إليهم أولًا إن أم كن قبل أن تُحسن إليهم. إذا علمتهم القراءة، وأتموا القرآن، وفهموا الدين الإسلامي، فيُسمح لك بالزواج منهم، وتحرير من تُتاح له فرصة أن يُسلم، كما هو مكتوب في القرآن الكريم. وفي الحرب لا تقتلوا النساء والأطفال والشيوخ، ولا تدمروا المزارع والأشجار المثمرة إلا للأكل. ولا تهاجموا الوثنيين، أي تغزوهم، إلا إذا خانوكم، كما جاء في كتاب الله. [...] أحذركم من الظلم والإتلاف المتعمد وسفك الدماء دون شرع". انظر:
SEHOU AHMADOU, L'esclavage dans les lamidats de l'adamaoua''nord cameroun'', du debut xlxe a la fin du xxe siecle, these de doctorat ph.d, tome i, p. 112, yaoune i 2016.

1- آدم عبد الله الإلوري، 2014، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري القاهرة، ط: 1: 169.

2 en.https://en.wikipedia.org/wiki/Yola,Nigeria

3- عبارة "رحمه الله" المعقبة لعلم من الأعلام دليل على أن العلم قد توفي ولم نقف على تاريخ وفاته.

4- وهي ما يسمى في سياق التعليم التقليدي بـ"الإعراب"

- حلقة مودِبُّآمادوبيندير، وتخصصت في اللغة والنحو؛
- حلقة مودِبُّ قوني (الأخ الأصغر لمودبُّآهيجو نغاوندري)، وتتخصص في العلوم الشرعية (الفقه الإسلامي والعقيدة).[1]

وهناك جمع كبير من الحلقات العلمية في مدينة يولا غير ما ذُكر آنفا. ومن أصحاب هذه الحلقات؛ مودِبُّ سنوسي قومبيومودِبُّ قوني عمرُ، ومودِبُّ خليلُ جالينغو، ومودِبُّ عبد المؤمن إيلوري، ومودِبُّ إدريس بامندا، ومودِبُّ هارون قيمبو، ومودِبُّ آدم كَمَرُ، ومودِبُّ علي قونوري، ومودِبُّ علي لمنْ موديري، ومودِبُّبامنغا، ومودِبُّ موسى ورو جولدي، ومودِبُّ شيخ بلا، ومودِبُّ شعيب نغورووري رحمه الله،ومودِبُّ يوسف ميقنغا، ومؤدب ساجوميقنغا، ومودِبُّ أبكر نغاوندل، ومودِبُّ عمَرُ زنغو، ومودِبُّ أحمد باوثي، ومودِبُّ إبراهيم دُمْرُ، ومودِبُّ هارون قاروا، ومودِبُّهمآدمجالينغو، ومودِبُّ أحمدُ، ومودِبُّ طيفورُ، ومودِبُّ يوسف مودب شعيب، ومودِبُّ سنوسي، ومودِبُّ عربي، ومودِبُّ نائبي،2ومودِبُّ بخاري3. هذا وغير هؤلاء كثيرون. منهم من تخصص في علوم القرآن كمودِبُّ سنوسي قومبي، أو الحديث كمودِبُّعمر زنغوومودِبُّ أحمدُ رحمه الله. يقول مودبُّ هارون: إن مودبُّ أحمد هذا هو أول من درس التجويد في يولا4، أو الأصول (أصول الفقه وعلوم الحديث) كمودِبُّ يوسف ميقنغا.

2. **مركز مدينة موبي**

تقع موبي في شمال مدينة يولا، وليس فيها من المدارس العربية التقليدية بقدر ما هي في مدينة يولا. وربما سبب ذلك قلة المسلمين فيها مقارنة بمدينة يولا، إضافة الدور السياسي لمدينة يولا، ويمكن ذكر بعض حلقات أعلام مدينة موبي كنموذج ثان من نماذج المراكز العلمية في الجزء النيجيري بإقليم فُمْبِنَ.

حلقات العلم في موبي

- حلقة مودبُّ لوَّلْ ورو غط، وله حلقة عامة[5]؛
- حلقة مودبُّ يعقوب في ورو هَمْسوبي، وقد تخصصت في الفقه الإسلامي؛
- حلقة مودبُّ أبًّا سواري المتخصصة في اللغة العربية. هؤلاء قليل من كثير ممن لهم حلقات علمية تقليدية في المدينة[1].

1- أبوبكر مايقري، درس على يد كثير من علماء يولا. وهو من أبناء قاروا بجمهورية الكاميرون، ويقيم فيها الآن. وقد تم تعيينه قبل سنتين رئيسا للجنة الاستشارية لإمارة قاروا، وهي لجنة تضم عددا من نخبة علماء المدينة، مقابلة شخصية في 24 أبريل 2025 بمدينة قاروا في الساعة ثامنة مساء.

2- أبكر مال أبكر، إمام وخطيب ومدرس في مدينة قاروا جمهورية الكاميرون. درس في يولا وموبي بنيجيريا الفدرالية، مقابلة شخصية في قاروا، 10 أبريل 2025 بمدينة قاروا في حدود الساعة الثامنة صباحا.

3- هارون بيا، له حلقة علمية في مدينة نغاوندري جمهورية الكاميرون. درس في يولا بنيجيريا الفدرالية لمدة تقرب ثلاثين عاما، مقابلة شخصية في نغاوندري، 15 أبريل 2025، في حدود الساعة العاشرة والنصف صباحا.

4هو مودبُّ مالم هارون بيا، جمع بين التعليم التقليدي والتعليم الحديث، ويعتبر من أفضل طلاب العلم الذين نهلوا من المدرسة التقليدية، حيث مكث في يولا منتقلا بين علمائها أكثر من عشرين عاما: (مقابلة شخصية: 12 من أبريل 2025 بمدينة نغاوندري في الساعة العاشرة والنصف).

5- المقصود بحلقة عامة، هو أنها تدرس كل التخصصات في العلوم الشرعية والعلوم اللغوية.

ثانيا: المراكز العلمية والثقافية في الجزء الكاميروني من فُمْبِنَ

يَنْصَبُّ اهتمام الباحث في هذا العمل على المراكز التي يغلب على حلقاتها تدريس اللغة العربية وثقافتها بِفُلْفُلْدِي، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحلقات العلمية التقليدية في شمال الكاميرون الحالي (وخاصة قاروا وماروا ونغاوندري وغيرها من البلدات والقرى) باعتبارها مسرحا لهذا العمل، وباعتبار أنفُلْفُلْدِي هي لغة التدريس الأساسية، وتتمثل المراكز العلمية في دولة الكاميرون في المدن والقرى ذوات الكثافة السكانية العالية والمتوسطة. ومن أهم المدن التي فيها المدارس العربية التقليدية، والتي تدرس بِفُلْفُلْدِيونذكر منها مركزين نموذجا.

1. مركز مدينة نغاوندري

تقع مدينة نغاوندري داخل الكاميرون وجنوب مدينة "يولا" النيجيرية. تتميز مدينة نغاوندري بجوها اللطيف ومناظرها الطبيعية الخلابة وغزارة أمطارها بحكم موقعها في هضبة أدماوا. وتشتهر بحبها للتعليم العربي. وتُعد مدينة نغاوندري هي وضواحيها حسب ظن الباحث، من أكثر المناطق تواجدا للمدرسة التقليدية العربية في الكاميرون.

الحلقات العلمية في مدينة نغاوندري: من أهم الحلقات العلمية في مدينة نغاوندري:

- حلقة مودبعثمانو طان نيا في حي تروا ملا؛
- حلقة مودبُّ آدمو قيجاطو في حي مدقاسكار؛
- حلقة مودبُّآمدو لبابو في حي بالي؛
- حلقة مودبُّ محمد علي ديوا؛
- حلقة مودبُّقارو؛
- حلقة مودبُّ مصطفى كائيوو؛
- حلقة مودبُّهماوندي في حي سابونغري؛
- حلقة مودبُّ إبراهيم في حي سابونغري أمركا؛
- حلقة مودبُّ دليل في حي بومجيري؛
- حلقة مودبُّ عبد القادري في حي تونغوباستورال؛
- حلقة مودبُّ عمرو سابيوا في حي لانغي؛
- حلقة مودبُّ أبّكر ماروا في حي تونغوغلديما2 وغيرها.

2. مركز مدينة قاروا

مدينة قاروا، (حاضرة إقليم شمال الكاميرون)، وهي قريبة من "يولا" حيث تقع جنوب شرقها، وفيها عدد من الحلقاتالعلمية، وسنذكر لاحقا بعضا منها على سبيل التمثيل.

الحلقات العلمية في مدينة قاروا

- حلقة مودبُّ سليمان؛
- حلقة مودبُّحمادو فرنكو؛

1- أبكر مال أبكر، المصدر السابق، مقابلة شخصية في قاروا، 10 أبريل 2025 بمدينة قاروا في حدود الساعة الثامنة صباحا.

2- جبيرو عمر، 15 أبريل 2025، أحد الذين تتلمذوا على بعض هؤلاء العلماء المذكورين، منهم: مودببو عثمانو طان نيا ومودببو محمد علي ديوا، ومودببو آمدو لبابو وغيرهم، مقابلة شخصية، بمدينة نغاوندري في حدود الساعة الثامنة صباحا.

- حلقة مُودِببو حَيَاةُ في حي لايندي؛
- حلقة مودبُّ عبد الرحمن قوني في حي باسيوري؛
- حلقة مودبُّ بكري دينغالي في حي بيري؛
- حلقة مودبُّحمادوقيدقيس؛
- حلقة مُودِببو حَمَّدُ بَابَانْغَلْ؛
- حلقة مُودِببو حَمَّدُ بَاسِوْ؛
- حلقة مُودِببويَاجِفي حي بيبيميري؛
- حلقة مودبُّحياتو في حي كانكارو؛
- حلقة مودبُّ عليم دمرو في حي لوبيري؛
- حلقة مودبُّمرافا؛
- حلقة حامدو قدقيس في حي سواري؛
- حلقة مُودِببو عُثْمَانُ دينغالي في حي لِطِّيري؛
- حلقة مودبُّ هَمَّنْآجِي في حي سابونغري.

ثالثا: عملية التدريس في المدرسة العربية التقليدية

1. **المناهج التعليمية**

المناهج التعليمية للمدرسة العربية التقليدية هي عبارة عن عدد من الكتب التي تم تقريرها بأشكال تختلف من مدرسة أو منطقة لأخرى حسب الرؤية التربوية لشيخ المدرسة أو أهالي المنطقة. ومن أشهر الكتب المقررة على العموم وعلى سبيل التمثيل لا الحصر، ما يلي:

الكتاب	المجال	المؤلف
تفسير الإمامين الجلالين	التفسير	الشيخان الجليلان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي
ولباب التأويل في معاني التنزيل	التفسير	الشيخ الخازن علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي
كتاب الأخضري	الفقه	الشيخ عبد الرحمن الأخضري
العشماوية في العبادات	الفقه	الشيخ عبد الباري العشماوي الرفاعي
المقدمة العزية	الفقه	للشيخ أبي الحسن بن خلف المنوفي المصري
مختصر خليل	الفقه	أبو المودة، ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المصري الجندي
متن الرسالة	الفقه	الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني
المقدمة الأجرومية	النحو	ابن آجُرُّوم

ملحة الإعراب	النحو	أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري
ألفية ابن مالك	النحو	محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني
عقود الجمان	البلاغة	الشيخ جلال الدين السيوطي
المقامات الحريرية	الأدب	محمد الحريري البصري
مختارات من الشعر الجاهلي	الأدب	امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعمرو بن كلثوم
الوسائل المتقبلة	الأدب	الوزير الفاضل أبي زيد علي بن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الغزازي الأندلسي

2. **طرائق التدريس في المدرسة العربية التقليدية**

وأما طرائق التدريس في المدرسة العربية التقليدية فتبدو تقليدية وعتيقة، تعتمد بالدرجة الأولى على الترجمة الحرفية التي تعقب فيها كلَّ كلمة عربية ترجمةٌ إلى اللغة المحلية دون تعليق أو مناقشة أو استنتاج. وتعتبر أسئلة الدرس في غالبها داخلية محصورة على استفسارات تتعلق بمعاني الكلمات العربية التي تمت ترجمتها إلى فُلْفُلْدِيللتأكد من صحة الترجمة، وأما الأسئلة الخارجية فكلما كانت أكثر بعدا من موضوع الدرس كانت أقرب إلى الحذر، فإن فَلَتَ شيء من ذلك فذلك معدود من سوء الأدب مع الشيخ.

وهذا يعني أن الدرس العربي التقليدي في فُمْبِنَ لا يتجاوز الترجمة الحرفية للمفردات إلى المعاني الإجمالية، أو إلى مناقشة أفكار الدرس أو محاولة ربطه بالواقع الذي يعيشه الدارسون.

3. **الظرف المكاني والزماني**

أما عن الظرف المكاني، فليس للمدارس التقليدية مبان مصممة للدراسة ابتداء. فمكان التدريس غالبا ما يكون داخل منزل، وفي غرفة استقبال ذات باب خارجي وآخر داخلي، تقع غالبا في مدخل المنزل، وتسمى دهليزا. أو خارج المنازل؛ فناء مسجد أو تحت شجرة ما، أو غير ذلك من الأفنية المتاحة. ويلاحظ أنه يقل اتصال المدارس التقليدية بالمساجد أو بأفنيتها، وربما يعود ذلك إلى الحرص على الحفاظ على حرمة بيوت الله. أما الدارسون فهم يجلسون على الحصى غالبا تبركا. وربما جلس بعضهم على فرش أقل شأنا من فرش الشيخ. وأما الأستاذ أو الشيخ فلا يجلس على الكرسي كما هو حاصل في بعض البلدان العربية، وقد يتميز الأستاذ عن تلميذه بجلوسه على فرش أعلى قيمة وأكثر سمكا إظهارا للميزة.

ولا يقسم الدارسون حسب مستوياتهم المختلفة، فالمبتدأ يجلس مع المتوسط أو المتقدم جنبا إلى جنب، وقد يشترك أكثر من تلميذ في كتاب واحد، فكل يفتح الفصل الذي هو فيه ثم يقوم الأستاذ بتدريس كل فرد منهم على حدة. فالأسبق وصولا إلى مكان الدرس أحق بالدرس قبل من وصل بعده.

وأما عن الظرف الزماني، للمدرسة التقليدية فالدراسة في الغالب تكون في الفترة الصباحية تبدأ في وقت مبكر بعد صلاة الفجر، وتستمر إلى قبيل منتصف النهار. وقد تكون الدراسة في الفترة المسائية أو كلتيهما تبعا لطبيعة الظروف المحلية. ويلاحظ أن الأستاذ يظل متفرغا تماما لمهنة التدريس في غالب الأحيان، وهذا يعني أنه ليس من المهم في المدرسة التقليدية أن يفكر الأستاذ في أمر ترتيب أوقاته واستثمارها حتى يوفر لنفسه مزيدا من الوقت.

4. رسوم الدراسة

ظلت الدراسة في المدرسة التقليدية بدون مقابل مادي محدد، لأن الشيخ، في مهمته التعليمية، على الله يحتسب أجره. غير أن الدارس بدوره يتفرغ شبه الكامل لخدمة أستاذه طواعية قدر المستطاع لنيل رضا شيخه وبركة العلم[1]، وليس ثمة اتفاق مسبق بين التلميذ وشيخه في هذا الشأن؛ لا الشيخ يشترط على التلميذ الخدمة مقابل تعليمه له، ولا التلميذ يعتبر خدمة شيخه جزاء لتعليمه. ثم إن الشيخ لا ينتظر شيئا ممن يتلقى العلم منه في نهاية كتاب ما، أو في نهاية المدة التي تتلمذ فيها على شيخه. وظل هذا هو الحال إلى الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، ولكن تغير تدريجيا حيث أصبحت خدمة الشيخ في طي التاريخ.

المحور الثالث: المدرسة العربية الحديثة الكاميرون

أولا: مفهوم المدرسة العربية الحديثة

كان ضمن رؤية رئيس دولة الكاميرون الأسبق-آمادوآهيجو تطوير التعليم الإسلامي في المناطق المأهولة بالمسلمين، وفي هذا المنظور كان يشجع استقبال الدعاة الوافدين من البلاد العربية. وفي عام 1968م،[2] قدم من جمهورية مصر العربية إلى الكاميرون مبعوث من الأزهر الشريف، الشيخ إبراهيم محمد نشَّاط العالم المصري الجليل، وكان من الفرائد النادرة بإجماع أهل البلاد الذين عاصروه طوال فترة وجوده في الكاميرون[3]، التي دامت ست سنوات[4]؛

و"المدرسة العربية الحديثة"، هي المدرسة التي تعنى بتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية بأساليب تربوية حديثة متخذةً لغةَ التدريس اللغةَ العربية. وقد بدأ تاريخ المدرسة العربية الحديثة بتأسيس "معهد مهني" بمدينة قاروا، مسقط رئيس الجمهورية الأسبق عُرف في حينه بـ"مدرسة المعلمين"، وكان ذلك في سنة 1969م[5]. وكان الغرض من تأسيس هذا المعهد إعداد وتخريج معلمي اللغة والتربية الإسلامية من ذوي الكفاءة والمقدرة على مزاولة تدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية بأساليب حديثة في المدارس الإسلامية التي أسستها

1- ببو سُلِيْ، 9 أغسطس 2017، أحد شيوخ المدرسة التقليدية، مقابلة شخصية، في أدمري، إحدى ضواحي مدينة قاروا.

2 محمد بِلُّو، 19 أكتوبر 2010م، أحد خريجي معهد المعلمين بمدينة قاروا، مقابلة شخصية، مدينة قاروا.

3- ترك الشيخ آثارا خالدة في البلاد تتجلى في تأسيس "معهد" بمدينة قاروا، تعنى بتخريج بتأهيل أناس قادرين على مزاولة مهنة تدريس اللغة العرية والتربية الإسلامية.

4- مؤمن إبراهيم، 2021، الجملة بين العربية والفولانية بالكاميرون: (دراسة وصفية تقابلية على المستوى المعجمي والنحوي والدلالي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، نوقشت في جامعة ماروا عام.

5 الأستاذ باكا، يريما عبد الكريم عبد الرحمن، 11 من أكتوبر 2016، أمين التعليم الإسلامي الأسبق بمنطقة الشمال، مقابلة شخصية، مدينة قاروا.

الجمعية الثقافية الإسلامية الكاميرونية كبديل من المدارس الغربية البحتة التي أعرض عنها معظم مسلمي البلاد لأسباب تبدو دينية. أو تدريس المادة الدينية في بعض المدارس الحكومية في الساعات التي خصصت للدين في كل مساء أربعاء، وهو يوم عطلة تلاميذ وسط أسبوع في فرنسا وفي كثير من مستعمراتها[1].

تعتبر "مدرسة المعلمين" البذرة الأولى للتعليم العربي الإسلامي الحديث في الكاميرون. وقد استمرت "مدرسة المعلمين" في تخريج معلمين وشباب صالحين لابتعاثهم إلى الدول العربية لمواصلة الدراسة، وبالأخص المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية. وقد تم تأسيس نفس المدرسة في مدينة ماروا عام 1971م على يد الشيخ عبد الرحمن نصرو رحمه الله، ومدينة نغاوندري عام 1972م على يد الشيخ محمد علي ديوا رحمه الله، وفي مدينة مورا على يد الشيخ عمر ليمان عام 1984م[2].

وفي عام 1984م[3] تم تحويل مدارس المعلمين الأربع إلى معاهد إعدادية. وفي عام 1993م أضيفت إلى المعاهد الإعدادية المرحلة الثانوية فتحولت بذلك إلى معاهد تحت مسمى "المعاهد الإسلامية". وهذه المعاهد الأربعة كانت ولا تزال تحت إشراف الجمعية الثقافية الإسلامية الكاميرونية.

وفي أواخر الألفية الثانية بدأت معاهد إسلامية جديدة تبرز في أنحاء مختلفة من البلاد؛ شمالها وجنوبها. فقلت مدينة من المدن الكبيرة والصغيرة تخلو من وجود معهد إسلامي فيها، إلا أن "المعاهد الإسلامية" في الكاميرون لا تحظى باعتراف حكومي لبعدها من البرنامج الوزاري للدولة إذ لم تؤسس لأغراض وظيفية في الدولة، بل لأغراض دينية ودعوية بحتة ترمي بالدرجة الأولى إلى تخريج أناس قادرين على تحمل مسؤوليات دينية؛ من تدريس أو إمامة أو وعظ وإرشاد، أو غير ذلك مما يتصل بالدين. أو قادرين على مواصلة الدراسة في المؤسسات التعليمية العربية؛

خلو هذه المعاهد من البرنامج الحكومي كان سببا لعدم اعتراف حكومي بشهاداتها، لا لكونها دينية أو تدرس باللغة العربية فحسب، فمثلها كمثل المدارس النصرانية الدينية (السمينيرات) في البلاد، فهي تتخذ لغة التدريس فيها الفرنسية أو الإنجليزية ولكنها مع ذلك تعامل في هذا الشأن بمثل معاملة المعاهد الإسلامية، وذلك لخلو برامجها من برامج الدولة.

ثانيا: عملية التدريس في المدرسة العربية الحديثة

1. المناهج التعليمية

كانت المدرسة العربية التقليدية المتمثلة في المجالس (الحلقات) العلمية قائمة في البلاد، وكانت منتشرة في المدن وفي القرى، ولكنها –مع أهميتها-تتبنى أساليب قاصرة لتحقيق الأهداف التربوية مما جعل المتخرجين يعجزون عن ممارسة التدريس بأساليب جديدة، ومن هنا كانت الحاجة إلى إيجاد تعليم عربي نظامي يفي الحاجة القائمة؛

1- https://www.ecolem.fr

2 - يريما، عبد الكريم أبُّو، 2004، بحث بعنوان: التحديات والصعوبات التي تواجه التعليم الإسلامي المعاصر في الكاميرون، الندوة العلمية، تشاد:13؛

3 - كاتب هذه السطور من الدفعة الأولى للمعهد الإعدادي الإسلامي بمدينة قاروا.

تعود فكرة تأسيس التعليم العربي النظامي في البلاد إلى ما قبل الحرب الثانية، وقد طرحت الفكرة آنذاك لأغراض استعمارية إدارية[1]. وفي عام 1960م تم تأسيس أولى مدرسة إسلامية في شمال البلاد بمدينة قاروا، وقد تولى إدارتها السيد عُمَرُو جَامْ، وهو الآن يعمل لواء في القوات المسلحة الكاميرونية، وبعد ثلاث سنبين أسند إشرافها إلى الجمعية الثقافية الإسلامية الكاميرونية، وفي عام 1968م أصدرت الحكومة تصرحا لتأسيس مزيد من المدارس على غرار الأولى في باقي المدن الكبرى من البلاد؛

هذه المدارس تتبنى تعليما مزدوجا بين اللغة العربية والتربية الإسلامية وبين برامج الوزارة باللغة الفرنسية في المناطق التي تنطق بها، وتسمى المدرسة الفرنسية العربية (franco-arabe)، أو اللغة الإنجليزية في المناطق الإنجليزية وتسمى المدرسة الإنجليزية العربية (arabscools)، وكان إيجاد هذه المدارس كاستراتيجية لاستجلاب أبناء المسلمين إلى التعليم الغربي سبباً –كما قدمنا-لفكرة تأسيس مدرسة المعلمين الأولى؛

كانت مدرسة المعلمين الأولى قائمة في مدينة قاروا، وكانت تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الشرعية إلى جانب المواد التربوية. واستمرت المدرسة في أداء دورها لما يقرب عقدين من الزمن؛

وفي العام الدراسي 1984 1985 تم تحويل التعليم العربي النظامي المهني إلى الأكاديمي، وحصل بذلك بعض التغييرات في عدة مستويات:

أ. **التسمية**: كانت المدرسة العربية الحديثة تسمى مدرسة المعلمين، وبموجب هذه التغييرات تحولت التسمية إلى المعهد الإعدادي سنة 1984 1985 ثم إلى المعهد الثانوي سنة 1993 1994؛

ب. **المناهج التعليمية**: كان الطابع التربوي والتأهيلي ظاهرا على المناهج التعليمية، وبموجب التغيير الجديد اختفى الطابع التربوي من المناهج التعليمية؛

ج. **مدة الدراسة**: كانت مدة الدراسة لكل دفعة سنة واحدة في البداية ثم سنتين ثم ثلاث سنوات[2]، ولما انتقل التعليم العربي من المهني إلى الأكاديمي صارت مدة الدراسة لكل دفعة أربع سنوات للمرحلة المتوسطة وثلاث سنوات للمرحلة الثانوية؛

د. **الغاية**: كانت غاية التعليم العربي المهني في الكاميرون إعداد المعلمين، وإن كانت هناك فلتات من طلابه يحصلون على المنح الخارجية، ولكن هذه الغاية تحولت بعد التغيير إلى إعداد شباب أكاديميا يقدرون على مواصلة المسيرة الأكاديمية في الجامعات العربية.

إلا أن مفهوم المناهج التعليمية بمعناه الصحيح لم يكن واضحا لدى أولئك الشيوخ الأجلاء رحمة الله عليهم أجمعين، وكان إعدادهم لها يتمثل في تحديد مواد علمية كفيلة، على الأقل في نظرهم، بتحقيق أهداف المدرسة الجديدة، ثم في اختيار كتاب مناسب لكل مادة علمية، فهذه الكتب المختارة تؤدي دورا ثنائيا؛ هي التي تحدد الموضوعات المقررة من كل

1 -HAMADOU ADAMA،du décembre 1999 L'enseignement privé islamique dans le Nord Cameroun، in islam et Société au Sud du Sahara، Revu annuel pluridisciplinaire، no. 13، Fondation de maison de la science de l'homme، Paris ; P 9 à 10

2- يوسف نانا، 5 مايو 2025، وهو من طلاب الدفعة الأخيرة لمدرسة المعلمين، مقابلة شخصية، بمدينة نغاوندري في الساعة الثالثة مساء.

مادة، وهي التي تكون كتبا مدرسية يعتمد عليها المدرس والطالب. ويمكن سرد المجالات العلمية والمواد المقررة للمدرسة العربية الحديثة فيما يلي:

العلوم الشرعية:

- القرآن الكريم: قراءة مجودة دراسة وحفظا؛
- التجويد: قواعد التجويد نظريا وتطبيقيا؛
- التفسير: تفسير آيات القرآن الكريم؛
- أصول التفسير؛
- الحديث النبوي: أحاديث الأحكام وفضائل الأعمال؛
- مصطلح الحديث؛
- التوحيد والعقيدة؛
- والفرق والأديان؛
- الفقه الإسلامي: فقه السنة؛
- أصول الفقه؛
- الميراث؛

العلوم البحتة:

- الرياضيات: الحساب؛
- الحاسب الآلي؛

العلوم التربوية:

- التربية: طرق التدريس والتربية الوطنية؛

العلوم اللغوية:

- النحو والصرف مهارات اللغة؛
- البلاغة: فنون البلاغة العربية؛
- الأدب: النصوص الشعرية؛
- التعبير: الشفوي والكتابي وقواعد الكتابة؛
- المطالعة: فن القراءة والإملاء؛

الثقافة العامة:

- السيرة النبوية: العرب قبل الإسلام والبعثة والهجرة وتأسيس الدولة الإسلامية؛
- التاريخ الإسلامي: التاريخ القديم وحاضر العالم الإسلامي؛
- اللغات الأجنبية: اللغة الفرنسية والإنجليزية.

2. **طرائق التدريس في المدرسة العربية التقليدية**

تعتبر طرائق التدريس في المدرسة العربية الحديثة حديثة ومتقدمة مقارنة بالمدرسة التقليدية، والتدريس فيها باللغة العربية، وتعتبر الاستفسارات وأسئلة الدرس الداخلية أم الخارجية ومناقشة الأفكار ومحاولة ربطها بالواقع عناصر أساسية في عملية التدريس في المدرسة العربية الحديثة. يبدو الدرس العربي الحديث أكبر قدرة على الاستيعاب والاستنتاج والاستثمار.

وأمر آخر لا يقل أهمية، هو التقويم المستمر المتمثل في التدريبات وحل التمارين وتنفيذ الواجبات، أو التقويم الفتري والسنوي المتمثل الاختبارات. وعملية التقويم مرآة لكل

من المدرسين والكلاب على حد سواء، إذ تنبه إلى ضرورة إعادة النظر في عملية التدريس وأساليبه.

3. الظرف المكاني والزماني

تتميز المدرسة العربية الحديثة بمبان مصممة للدراسة ابتداء تسمى فصولا أو غرفا دراسية لكل صف دراسي فصله الخاص، غير أن دفعات المعهد الإعدادي الأوَل عانت من قلة الفصول الدراسية، فقد ظل المعهد الإعدادي يدرسن في فصل واحد قرابة عشر سنوات لا يفتح باب تسجيل الدفعة الأخرى خلال هذه السنوات إلا بعد أربع سنوات، وقد يختلف هذا الوضع من مدينة لأخرى.

كما تتميز المدرسة العربية الحديثة بكثرة الوسائل التعليمية، فالطلاب يجلسون على المقاعد والمدرس أمامهم قاعدا حينا أو قائما حينا آخر حسب ما يتَطَلّبُه الموقف التعليمي. وتعتبر السبورة والطباشير والمسطرات من أهم الوسائل التعليمية التي يستعين بها المدرس للقيام بنشاطات تعليمية داخل الفصل الدراسي.ويقسم الدارسون في المدرسة العربية الحديثة حسب صفوفهم الدراسية، فلكل صف فصله الخاص ومدرسه، وهذا يعني تعدد المدرسين في مدرسة واحدة. ظلت المدرسة العربية في الكاميرون لا تستقبل البنات إلا ابتداء من أواخر القرن العشرين الميلادي، ثم صارت البنات وكبيرات السن من المتزوجات والأرامل يقبلن على المدرسة بشكل ملفت للنظر.

وأما عن الظرف الزماني للمدرسة الحديثة فالوقت منظم فيها بالدقة فالدراسة في الغالب تكون في الفترة الصباحية وتبدأ في الساعة السابعة والنصف أو الثامنة في بعض المعاهد، وتستمر إلى الظهر. وتفاديا من تضارب أوقات المدرسين تم ضبط الوقت بجدول دراسي تتوزع فيه أسماء المدرسين والأوقات التي يعملون فيها والمواد الدراسية، ومتى تبدأ الدروس اليومية ومتى تنتهي.

4. رسوم الدراسة

كانت المدرسة العربية الحديثة في البداية غير مرحبة إطلاقا إذ حيكت حولها فرىً جعلت الناس يريبون في أمرها، وبمرور الزمن انكشف هرأ ما يقال عنها، فبدأ الناس في تغيير مواقفهم منها فصاروا يقبلون عليها ويرسلون أولادهم إليها. كانت الدراسة في البداية بدون مقابل، وقد كانت دفعات مدرسة المعلمين والدفعة الأولى للمعهد الإعدادي يجدون في كل ثلاثة أشهر مساعدات رمزية تعينهم على قضاء بعض الحاجات الطفيفة. ومنذ أواخر القرن العشرين الميلادي أضبحت المدرسة تعتمد كليا في تسيير أمورها على الرسوم الدراسية.

المحور الرابع: بين المدرستين التقليدية والحديثة

أولا: واقع المدرسة العربية التقليدية

ظاهرة تقلص المدارس العربية التقليدية لا تحتاج إلى جهد في بيانها، فكلما مات علم من أعلام هذا الصنف من التعليم، ذهبت مع موته مدرسته. لقد أدرك كاتب هذه السطور ما لا يقل عن عشرين مدرسة في مدينة قاروا، وقد تمت الإشارة إليها آنفا، وقد تتلمذ على بعض منها في الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، ولكن البقية منها اليوم لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة. وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في مقال لنا بعنوان: **"المدرسة العربية التقليدية**

في الكاميرون بين البقاء والانقراض" تم نشره في أعمال اليوم العلمي للمعهد العالي لإعداد المعلمين بجامعة ماروا-جمهورية الكاميرون.

في الجدول التالي نذكر بعضا من المدارس التقليدية التي عايشناها في الثمانينات بمدينة قاروا مما يعطينا نسبة مئوية تقريبية للحال الذي آلت إليه المدرسة التقليدية في الكاميرون

المدرسة	مودبُّ/الشيخ	الحي	حالها
مجلس مودبُّ سليمان	مودبُّ سليمان	لايندي	عاطلة
مجلس مودبُّحمادو فرنكو	مُودِببو محمد بِلّو	لايندي	عاطلة
مجلس مُودِببوحَيَاتو	مُودِببوحَيَاتو	لايندي	شاغلة
ومجلس مودبُّ عبد الرحمن قوني	الشيخ عبد الرحمن قوني	باسيوري	عاطلة
مجلس مودبُّ بكري دينغالي	مودبُّ بكري دينغالي	بيري	عاطلة
ومجلس مودبُّحمادوقيدقيس	مودبُّحمادوقيدقيس	بيبيميري	شاغلة
مجلس مُودِببو حَمَّدُ بَابَانْغَلْ	حَمَّدُ بَابَانْغَلْ	بيبيميري	عاطلة
مجلس مُودِببو حَمَّدُ بَاسِوْ	حَمَّدُ بَاسِو	بيبيميري	عاطلة
مجلس مُودِببويَاجِي	مُودِببويَاجِي	بيبيميري	عاطلة
مجلس مودبُّحياتو	مودبُّحياتو	كانكارو	عاطلة
مجلس مودبُّ عليم دمرو	مودبُّ عليم دمرو	لوبيري	عاطلة
مجلس مودبُّمرافا	مودبُّمرافا	سواري	عاطلة
مجلس حامدو قدقيس	حامدو قدقيس	سواري	عاطلة
ومجلس مودبُّعثمانودينغالي	مودبُّعثمانودينغالي	لِطِّيري	عاطلة
مجلس مودبُّ هَمَّنْآجِي	مودبُّ هَمَّنْآجِي	سابونغري	عاطلة

فحسب معطيات الجدول السابق، إن حوالي 87% من المدارس التقليدية قد ذهب من خلال أربعة عقود من الزمن. وهذا يعني أن هذا الصنف من التعليم العربي في الكاميرون مرشح للزوال لا محالة ما لم يُتدارك في أمره.

ثانيا: موقف التقليديين من المدرسة العربية الحديثة

ألمحنا سلفا إلى أنه قد "حيكت حول المدرسة العربية الحديثة فرىً جعلت الناس يريبون في أمرها"، ولكنا لم ندخل في تفصيل تلك الفرى، وهي تبدو صادرة من العلماء التقليدين الذين يرون من المدرسة الجديدة تهديدا لمصالحهم. وقد شكلت هذه الفرى للناس عموما موقفا سلبيا من ظهور المدرسة العربية الحديثة، ويتمثل هذا الموقف في جملة من التهم الموجهة إلى الدارسين في هذه المدرسة، ومن تلك التهم: أنهم لا يحبون النبي ﷺ، ونتيجة لذلك أنهم لا يقولون البتة كلمة: "ﷺ". وكذلك أنهم يحتقرون الكبار من الآباء والأمهات والعلماء. ومن ذلك أنهم لا يدعون الله، ولا يحبون الدعاء، لقد كان كاتب هذه السطور من جملة من كانوا يؤمنون بهذه الأقاويل قبل التحاقه بالمدرسة الحديثة.

ثالثا: واقع المدرسة العربية الحديثة

استمرت المدارس العربية الحديثة في الازدهار منذ نشأتها نوعا وكما. أما النوع، فقد بدأت المدارس العربية الحديثة بنشأة المدارس الابتدائية الإسلامية في بداية الستينات من القرن العشرين الميلادي، ثم إن الحاجة إلى المدرس الكفء أدت إلى تأسيس "مدرسة المعلمين" المهنية التي كانت تقدم للدارسين فيها في نهاية دراستهم شهادة معادلة لشهادة المتوسطة. وفي منتصف الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، تحولت "مدرسة المعلمين" المهنية إلى التعليم الأكاديمي المتمثل في المعهد الإعدادي ثم الثانوي، واليوم يوجد في الكاميرون معهدان للتعليم العالي بمدينة ماروا. وأما كما، فقد تضاعف عدد المدارس العربية الحديثة في البلاد، تدرس بالليل وبالنهار، ومدارس خاصة بالنساء إضافة إلى المعاهد الإسلامية، ولا تخلو بلدة من البلدات تخلو من وجود مدرسة عربية من هذا النوع فضلا عن المدن.

من مظاهر ازدهار التعليم العربي الحديث في الكاميرون دخول اللغة العربية في المؤسسات العامة، خصوصا الجامعات الحكومية، حيث أصبحت اللغة العربية إحدى لغات البحث العلمي في حوالي 36% من الجامعات الكاميرونية.

رابعا: موقف أهل المدرسة الحديثةمن التقليديين

كان الجيل الأول من الذين نهلوا من المدرسة العربية الحديثة يحضون طلبة المدرسة العربية الحديثة على الجمع بين التعليم العربي الحديث والتعليم العربي التقليدي. وكانوا يرون أن من جمع بين الصنفين أولى ممن اقتصر على واحد منهما. وهذا، شيخنا عبد الرحمن قوني، أستاذنا ومربينا الغالي رحمه الله وأسكنه أعلى جنان الفردوس، كان يلح على تلميذه، الكاتب لهذه السطور ويوصيه دائما بالالتحاق بـ"الحلقات العلمية التقليدية"، وينبهه إلى أهمية وتوقير علمائها واحترامهم والتزود من علمهم.

أما الاتهامات التي ظل الناس يوجهونها إلى المدرسة الحديثة وأهلها طوال المدة التي تمتد من طور نشأتها إلى أواخر التسعينات، فلم تلق ردودا من الطرف الثاني، لأن القائمين على المدرسة الحديثة ظلوا يلزمون الصمت، ولم يحاولوا الدفاع عن أنفسهم أو الذب عن مدرستهم، وهذا الصمت قد ساعد على إطفاء نار الفتنة التي كان من الطبيعي أن تندلع من

تلك الشرارات التي أذكاها الناس ضدهم. وبمرور الزمن وانتشار المدرسة الحديثة وتضاعف خريجيها وتأثيرهم في الحياة العامة، تبين للناس أن جملة ما كان يقال عنها غير صحيح. وهكذا صارت الأمور كأن لم تكن، وساد الهدوء بين الفئتين.

وفي مطلع العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين الميلادي، عاد الجدال المفترض إلى الميدان، ولكنه هذه المرة جدال واقع فعلا، لدخول الطرف الثاني فيه. في الواقع أن مبدأ هذا الجدال كان دينيا عقديا، ثم توسعت دائرته ليشمل هذا الجانب التعليمي فانقسم الناس في موضوع التعليم العربي في فُمْبِنَ إلى طائفتين؛ كل طائفة تتكلف الدفاع عن نفسها والنيل من خصمها.

الخاتمة

بعد إجراء هذا البحث الذي بعنوان: **"المدرسة العربية التقليدية والحديثة بـفُمْبِنَ: بين التكامل والصراع"**، وبعد الاطلاع على طبيعة المدرستين وعلى المحتوى التعليمي لكل واحدة منهما وطرائق التدريس والأهداف التي تسعى إليها، توصلنا إلى عدة نتائج، كما تراءت لنا عدة توصيات.

نتائج البحث:

النتيجة الأولى: في التشابه بين المدرستين

أما النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الورقة، فهي على ثلاثة مستويات، وهي:

(أ) ما تشابه فيه المدرستان تشابها تاما، وهو: **الهدف.** فالمدرستان تسعيان لنفس الهدف؛ وهو "تعليم الناس العلوم الشرعية واللغة العربية المساعدة على ذلك في ظل التربية الدينية الصحيحة"؛

(ب) ما تشابه فيه المدرستان مع اختلافات شكلية، وهو: **البرامج التعليمية.** وتتمثل هذه اختلافات في النقاط التالية:

- أن البرامج التعليمية في المدرسة التقليدية مبنية على فلسفة تربوية ومراعية لسنة التدرج، حيث تبدأ من الأصغر إلى الأكبر وبالأسهل؛
- أن البرامج التعليمية في كل من المدرسة التقليدية والحديثة متشابهة، وهذا يعني أن هدفهما واحد؛
- أن البرامج التعليمية في المدرسة الحديثة أوسع مجالا وأكثر موادا وأحكم تنظيما وترابطا؛
- أن البرامج التعليمية المتعلقة بالفقه الإسلامي المدرسة التقليدية في تلتزم بالفقه المالكي؛
- يبدو أن أسلوب التدريس في المدرسة التقليدية لم يتطور، ولم يأخذ بإملاءات الواقع. وهذا مخالف لطبيعة العمل البشري؛
- أن البرامج التعليمية المتعلقة بالفقه الإسلامي في المدرسة الحديثة تركز على فقه السنة؛
- المدرسة التقليدية في فُمْبِنَ مهددة بالانقراض، بينما المدرسة الحديثة تتضاعف.

(جـ) ما اختلف فيه المدرستان اختلافا تاما، وهو: **منهجية العمل.** الاختلاف بين المدرسة العربية التقليدية والمدرسة العربية الحديثة في أساليب التدريس وطرائقه بيّن، فالأولى تتبع الطريقة التقليدية القديمة، والثانية تتبع الطريقة المبتكرة حديثا.

فكون الهدف بين المدرستين واحدا، والوسائل الموصلة إلى هذا الهدف: (البرامج التعليمية) متشابهة إلى حد كبير، فلم يعد ثمة ما يدعو مسوغ للاختلاف والصراع بينهما. وقد

كان فالجيل الأول من الذين نهلوا من المدرسة العربية الحديثة يحضون طلبة المدرسة العربية الحديثة على الجمع بين التعليم العربي الحديث والتعليم العربي التقليدي. وهذا، شيخنا عبد الرحمن قوني، أستاذنا ومربينا الغالي رحمه الله وأسكنه أعلى جنان الفردوس، كان يلح على تلميذه، الكاتب لهذه السطور ويوصيه دائما بالالتحاق بـ"الحلقات العلمية التقليدية"، وينبهه إلى أهمية وتوقير علمائها واحترامهم والتزود من علمهم.

النتيجة الثانية: في العلاقة بين المدرستين.

- ليس ثمة ما يجعل العلاقة بين المدرستين علاقة التعادي والمشادات والصراع؛
- إن غالبية طلبة العلم الأكثر تميزا في مستواهم العلمي والمعرفي في الكاميرون، هم الذين جمعوا بين التعليم العربي التقليدي والتعليم العربي الحديث؛
- ما قد يقع بين طلبة العلم من جدال ومشادات في موضوع المدرسة العربية التقليدية والمدرسة العربية الحديثة، إنما هو من حظوظ نفسية أو تسوية حسابات معينة.

توصيات:

بناء على النتائج التي توصلنا إليها، والتي تبرز أهمية كل من "المدرسة العربية التقليدية" و"المدرسة العربية الحديثة"، نوصي بما يلي:

- الاهتمام بالمدرسة العربية التقليدية بالسعي لحل مشكلاتها؛ من الحد من تقلصها وزوالها، ومحاولة تطويرها برامجها وطرائق التدريس فيها عبر تنظيم دورات توعوية وتدريبية لمصلحة القائمين عليها؛
- السعي لإحياء المدارس التقليدية المتعطلة بوفاة اصحابها؛
- تشجيع طلبة المعاهد الإسلامية على الجمع بين التعلم فيها والتعلم في المدارس التقليدية.

قائمة المقابلة

الاسم	الدولة	المدينة	المهنة	علاقته بالمجال	تاريخ المقابلة
أبكر مال أبكر	الكاميرون	قاروا	خطيب ومدرس	درس في يولا وموبي بنيجيريا الفدرالية	25/4/10
أبوبكر مايقري	الكاميرون	قاروا	رئيس اللجنة الاستشارية لإمارة قاروا	درس على يد كثير من علماء يولا	25 /4/24
الأستاذ باكا، يريما عبد الكريم عبد الرحمن	الكاميرون	قاروا	أمين التعليم الإسلامي الأسبق	مؤسس المدرسة الخيرية بقاروا، وهي مدرسة عربية	25/10/11
ببو سُلِيْ	الكاميرو	أدمري	إمام ومدرس	أحد شيوخ المدرسة	17/8/9

	ن			التقليدية	
جبيرو عمر	الكاميرو ن	نغاوندر ي	داعية	أحد تلاميذ العلماء التقليديين	25/4/15
محمد بِلّو	الكاميرو ن	قاروا	مدرس اللغة العربية	أحد خريجي مدرسة المعلمين بقاروا	25/10/19
هارون بيا	الكاميرو ن	نغاوندر ي	مدرس المدرسة التقليدية	درس في يولا بنيجيريا الفدرالية	25/4/15
يوسف نانا	الكاميرو ن	نغاوندر ي	تاجر ومدرس	من طلاب الدفعة الأخيرة لمدرسة المعلمين	25/5/5

قائمة المراجع

الكتب والبحوث العلمية

- ✓ آدم عبد الله الإلوري، 2014، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار الكتاب المصري القاهرة، ط 1؛
- ✓ إلهام محمد علي ذهني، 1988، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار (1850 1914)، دار المريخ للنشر، الرياض.
- ✓ باري، عثمان برايما، 2000، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، 113، ط 1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)
- ✓ عبد الكريم أبو يريما، 2004، بحث بعنوان: التحديات والصعوبات التي تواجه التعليم الإسلامي المعاصر في الكاميرون، ص: 13، الندوة العلمية، تشاد، 2004م.
- ✓ فيح جي دي، 1982، تاريخ غرب إفريقيا، تجم، السيد يوسف نصر، 292، ط 1، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)؛
- ✓ مؤمن إبراهيم، 2021، الجملة بين العربية وفُلْفُلْدِي بالكاميرون: (دراسة وصفية تقابلية على المستوى المعجمي والنحوي والدلالي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، نوقشت في جامعة ماروا؛
- ✓ وهيب سمعان رشيد لبيب، دراسات في المناهج، 42، مكتبة الأنجلو المصرية.
- ✓ HAMADOU ADAMA, L'enseignement privé islamique dans le Nord Cameroun, in islam et Société au Sud du Sahara, Revu annuel pluridisciplinaire, no. 13 du décembre 1999 ; Fondation de maison de la science de l'homme, Paris ; P 9 à 10
- ✓ SEHOU AHMADOU, **l'esclavage dans les lamidats del'Adamawa ''nord cameroun'' , du debutxlxe a la fin du xxesiecle**, these de doctorat ph.d, tome i, p. 112, yaoune i 2016

إنترنيت

- ✓ https://en.wikipedia.org/wiki/Yola,Nigeria.

- ✓ en.https://www.ecolem.fr.

المقابلات.

- ✓ أبكر مال أبكر، 10 أبريل 2025، إمام وخطيب ومدرس في مدينة قاروا جمهورية الكاميرون. درس في يولا وموبي بنيجيريا الفدرالية، مقابلة شخصية في قاروا، بمدينة قاروا في حدود الساعة الثامنة صباحا.
- ✓ أبوبكر مايقري، 24 أبريل 2025، درس على يد كثير من علماء يولا. وهو من أبناء قاروا بجمهورية الكاميرون، ويقيم فيها الآن. وقد تم تعيينه قبل سنتين رئيسا للجنة الاستشارية لإمارة قاروا، وهي لجنة تضم عددا من نخبة علماء المدينة، مقابلة شخصية بمدينة قاروا في الساعة ثامنة مساء.
- ✓ الأستاذ باكا، يريما عبد الكريم عبد الرحمن، 11 من أكتوبر 2016، أمين التعليم الإسلامي الأسبق بمنطقة الشمال، مقابلة في مدينة قاروا.
- ✓ ببو سُلِيْ، 9 أغسطس 2017، أحد شيوخ المدرسة التقليدية، مقابلة في يوم الأربعاء في أدمري، إحدى ضواحي مدينة قاروا.
- ✓ جبيرو عمر، أحد الذين تتلمذوا على بعض هؤلاء العلماء المذكورين، منهم: مودبُّعثمانو طان نياومودبُّ محمد علي ديوا، ومودبُّآمدو لبابو وغيرهم، 15 أبريل 2025، مقابلة شخصية، بمدينة نغاوندري في حدود الساعة الثامنة صباحا.
- ✓ محمد بِلُّو، 19 أكتوبر 2010م،أحد خريجي مدرسة المعلمين بمدينة قاروا، مقابلة شخصية، مدينة قاروا.
- ✓ هارون بيا، 15 أبريل 2025، من أهل نغاوندري، له حلقة علمية في مدينة نغاوندري جمهورية الكاميرون. درس في يولا بنيجيريا الفدرالية لمدة تقرب ثلاثين عاما، مقابلة شخصية في نغاوندري، في حدود الساعة العاشرة والنصف صباحا.
- ✓ يوسف نانا، 5 مايو 2025، وهو من طلاب الدفعة الأخيرة لمدرسة المعلمين بنغاوندري، مقابلة شخصية بمدينة نغاوندري في الساعة الثالثة مساء.